BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 2 / No 2 – Nov 1444 / 2022
ISSN: 2791-6561
Received: 21.10.2022 | Accepted: 31.10.2022 | DOI: 10.5281/zenodo.7267917
0000-0002-3597-6308

المرأة والسلطة: قراءة في كتاب السلطانات المنسيات لفاطمة المرنيسي

Women and Power: Critical Reading in "The Forgotten Queens Of Islam" by Mernissi Fatima

فطيمة بوالطين* & نعيم حنك**

Naim HANK & Fatima BOUTINE

ملخص

تعتبر فاطمة المرنيسي من أهم الأصوات النسوية في العالم العربي، من خلال ما قدمته على مستوى القضايا التي أثارتها والمنهج الذي تبنته في بيان طروحاتها المعرفية، وإن كانت مؤلفاتها ناطقة عن اللحظة الراهنة بما تحمله من إشكالات تتعلق بالمرأة العربية بصفة خاصة، إلا أنها في الوقت ذاته لا تنفك عن جذورها التاريخية في تناولها للقضايا المعاصرة، وهو ما يميز كتاباتها على المستوى المنهجي. وما قضية المرأة سوى امتداد لما كان سابقا، لذلك قامت المرنيسي بتقديم قراءة تحديثية تفك من خلالها لغز المرأة والسلطة بين الحظر والمنع، والحق المشروع، والممارسة التعسفية، ويمكن ملاحظة ذلك في عموم ما تكتب. ولكن كتابها الشهير" السلطانات المنسيات" قد كان ناطقا بصفة خاصة عن توجهها العام الذي يحكم رؤيتها للموضوع. وكان بمثابة تحد للتاريخ الرسمي الذي كتب بأقلام ذكورية. ويمكن اعتبارها متجاوزة لعتبة الحريم في كشف العلاقة بين المرأة

* جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/ الجزائر. boutinej@gmail.com

** أستاذ مساعد بقسم الفقه كلية العلوم الإسلامية جامعة كارابوك – تركيا. Orcid: 0000-0002-3597-6308 naimhank@karabuk.edu.tr

والسلطة في ظل النصوص الدينية من جهة، والعادات الاجتماعية التي شكلت القانون والمرجعية في ظل الهيمنة الذكورية من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: المرأة، السلطة، الحريم، فاطمة المرنيسي

Abstracts

Fatima Mernissi is considered as one of the most important women's voices in the Arab world due to what she presented at the level of the issues she raised and the approach she adopted in explaining her cognitive vision. In fact, her work speaks to the present-tense situation of the Arab women in particular, but at the same time, they have their roots in historical perspective on contemporary issues, which distinguishes its writings at the international level approaches. Thus, the issue of women is only an extension of what was before, so Mernissi presented an up-to-date reading through which the issue of women and authority between prohibition and prevention, and the legitimate right, arbitrary practice, all of that could be observed on the light of what she did write. But her famous book 'The Forgotten Sultans' was particularly revealing her general orientation that explaining her vision of the subject. And it was a challenge to the official history that was written with masculine pens. It can be considered to cross the inviolable threshold in revealing the relationship between women and authority under religious texts on the one hand, and the social customs that formed law and authority under male domination.

Keywords: Woman, Power, The hareem, Fatima Mernissi.

مقدمة:

بعد وفاة النبي ﷺ أثيرت إشكالية السلطة في الإسلام؛ من خلال محاولات الإجابة عن السؤال المتعلق بمن الأحق بالخلافة بعد النبي ﷺ، وهو ما نقل الصراعات الفكرية من كونها آراء سياسية بالدرجة الأولى، إلى المجال العملي الذي تجسدت فيه هذه الآراء على شكل فرق إسلامية تختلف مساحات التقارب والتباعد بينها في هذه القضية بناء على الشروط والضوابط التي تحكم أهلية

الخليفة أو الإمام الذي سيتولى أمور المسلمين الدينية والدنيوية. واستمر ظهور هذه الإشكالية طوال فترات التاريخ على اختلاف الدول الإسلامية والمناطق الجغرافية. لكنها اتخذت أشكالا أكثر اتساعا في المشهد الثقافي المعاصر خاصة بين التيارات الدينية المحافظة والتيارات التحديثية. وإن كان تناول قضية المرأة ومدى أهليتها لتولي الحكم قديم الطرح في التراث الإسلامي إلا أنه قد أصبح كثيف الحضور في السجالات الفكرية بما يستدعيه الواقع المعاصر الذي فرض معطيات جديدة لم تكن مطروحة عند القدامى. وكان نتاج ذلك مرتبطا بخلفيات الباحثين وانتماءاتهم الأيديولوجية. ويمكن القول أن ما قدمته الكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي[1] هو من أهم ما كتب في التيار النسوي العربي حول الموضوع.

ولم تكن كتابات المرنيسي من قبيل الترف الفكري إذ ارتبطت بواقع المرأة العربية وماضيها أيضا، وإن تعددت الكتب التي شرحت فيها رؤيتها للموضوع فإنها في كتابها "السلطانات المنسيات" قد فصلت فيه من مختلف الجوانب. وقد قامت بتقسيم الكتاب إلى ثلاثة محاور أساسية تتفرع عنها بعض النقاط:

- **القسم الأول: سلطانات ومحظيات.**
  - هل يقال ملكة في الإسلام؟
  - الخليفة والسلطانة

[1] – كاتبة وعالمة اجتماع مغربية، ولدت سنة ١٩٤٠ في مدينة فاس، أرسلت إلى المدرسة القرآنية في سن الثالثة من عمرها. وتلقت تعليمها بعد ذلك في إحدى المدارس الوطنية، درست في جامعة محمد الخامس في الرباط، وتابعت دراستها العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. وتحصلت على الدكتوراه في علم الاجتماع العائلي سنة ١٩٧٣، وحاضرت في العديد من الجامعات العربية والغربية. من أهم مؤلفاتها: السلطانات المنسيات نساء رئيسات دولة في الإسلام، الحريم السياسي النبي والنساء، الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية، ما وراء الحريم الجنس كهندسة اجتماعية، شهرزاد ترحل إلى الغرب... ٣٠نوفمبر٢٠١٥. ينظر: فاطمة المرنيسي، أحلام النساء الحريم، ترجمة ميساء سري، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،ط١،١٩٩٧، ص ١١، ١٤، ٢٠١٩. عبد الرحمن علال، البنية الذهنية للحريم في حفريات فاطمة المرنيسي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ص ٢. فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء آزروبل، المركز الثقافي العربي، المغرب،ط٤، ٢٠٠٥، ص٧

- الجواري أو ثورة الحريم
- هل كانت خيزران محظية أم رئيسة دولة؟

- **القسم الثاني: السيادة في الإسلام.**
  - معايير السيادة في الإسلام
  - السلطانات الخمس
- **القسم الثالث: الملكات العربيات.**
  - السلالة الشيعية في اليمن
  - ملكات سبأ الصغيرات
  - سيدة القاهرة
- **الخلاصة: المدينة الديموقراطية**

تشير المرنيسي إلى أن «أحد أهداف الكتاب هو ترشيد التاريخ وتعريته من الأباطيل، ورفع الصفة الجافة المتحفظة عنه، وجعله قريبا ومألوفا» [٢]. وقد احتوى على سير نساء حكمن في الإسلام، وقد أوردتهن مستعينة بالتحليل؛ من ناحية الظروف المحيطة بهن حين تولي السلطة والألقاب الخاصة بهن، وقد اختلفت هذه الأخيرة بحسب الزمن والحيز الجغرافي الذي تواجدن فيه، كما عرضت الصعوبات التي واجهنها للوصول إلى الحكم، والامتيازات التي حصلن عليها، وكذلك مدى قدرتهن على إدارة مسؤوليات الحكم المنوطة بهن. وعلى الرغم من أن المرنيسي في حديثها عن المرأة والسلطة في الإسلام تركز بشكل أساسي على المرأة العربية، إلا أنها تجاوزت هذا الانتماء إلى حيز أوسع؛ المرأة المسلمة. وقد كانت النماذج التي استحضرتها متنوعة جدا بناء على النطاق الجغرافي. أما السؤال المحوري الذي طرحته في كتابها: «لماذا نجد أنفسنا حاليا أمام ذاكرة مبغضة للنساء وبنمط واحد؟ ولماذا ينبغي أن ندرس بالتفصيل كل تفاصيل التاريخ الذي يقدم لنا كحقائق

[٢] فاطمة المرنيسي، السلطانات المنسيات، ترجمة الهادي عباس وجميل معلى، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، دط، د ت، هامش ص٢٨.

أزلية وكـ "سنن إسلامية"، ولاسيما الجمع بين النسوية والسياسة، واعتباره عملا شريرا يجر عواقب وخيمة »[٣].

وكان منطلق المرنيسي أن «كل خطاب عن النساء في العالم الإسلامي هو إذن خطاب عن مستقبل الفرد وموقعه في المجتمع»[٤]. وما لم نعد بالمشكلة إلى جذورها التاريخية فلن نتمكن من تقديم أي جديد. لذلك «ينبغي تقصي المقاومة المضادة ودراسة الحالات الهامشية الاستثنائية، ولفهم تاريخ النساء في الإسلام، وعلى الأخص في الإسلام، فإنه محكوم عليه كتاريخ الفلاحين أو الفقراء بألا يعبر عنه مطلقا في الخطاب الرسمي »[٥]. وهدفها من إعادة قراءة تاريخ النساء هو تجاوز مركزية الإمام والخطاب الرسمي الناتج عن دوائر السلطة والقرار، وتسليط الضوء على الحالات المهمشة والمغيبة في المصادر التاريخية.

وإن استخدم مصطلح السلطة في السياسة والقانون بمعنى حق إصدار قوانين، وحق ممارسة ما دون ذلك من صلاحيات ترتبط بالحكم[٦]. فإنه كما تحدثت عنه المرنيسي قد يشمل أيضا حرية اتخاذ القرار على المستوى الفردي أو الجمعي، ناهيك عن تجسيده وتحمل تبعاته. وبالتالي فالسلطة مفهوم واسع يرتبط في جزء منه بالتخلص من الحريم بشقيه المادي والمعنوي.

وعلى الرغم من فتاوى تحريم العمل السياسي للمرأة فإن المرنيسي لا تلغي الجانب الفقهي للقضية، بل تحاول أن تتناوله من وجهة نظر مختلفة، مركزة على النصوص الدينية التأسيسية، وعلى التجربة الإسلامية. ومن خلال استنطاق التاريخ تورد لنا العديد من النساء المسلمات اللاتي حكمن بمختلف الصيغ رغم كل العراقيل الفقهية والاجتماعية. ولبيان الموضوع قسمت المرنيسي الحاكمات حسب اللقب الذي حملنه، أو حسب الجغرافيا أو العرق وهن كما يلي:

---

[٣] فاطمة المرنيسي، المصدر السابق، ص٧٩.

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

[٥] المصدر نفسه، ص ١٤٣.

[٦] وضاح زيتون، المعجم السياسي، دار أسامة، دار المشرق الثقافي، عمان، دط، ٢٠١٠ ، ص ٢١٢.

	اسم السلطانة	لقبها	حكمها	زمن الحكم	مكان الحكم	الامتيازات المتحصل عليها
٠١	**عائشة والمعروفة عند الإسبان باسم السلطانة مادري بوعبديل**	الحرة	(غير مباشر) عن طريق ابنها	٨٨٧هـ	غرناطة	استطاعت نقل السلطة من زوجها إلى ابنها عبد الله
٠٢	**حاكمة تطوان**	الحرة	مارست السلطة عن طريق زوجها لكنها انفردت بها	٩١٦هـ ١٥١٠م\٩٤ هـ.١٥٤٢م	تطوان والإقليم الشمالي الغربي من مراكش	كانت رئيسة للقراصنة بالتحالف مع القرصان التركي بروباروس
٠٣	**ست الملك**	ست الملك	منفردة بداية ثم منحت السلطة لابن اخيها	٤١١هـ \١٠٢١م	القاهرة	تولت السلطة بعد اغتيال شقيقها الحاكم بأمر الله الفاطمي
٠٤	**الشريفة فاطمة**	الشريفة	حكت بطريقة مباشرة بصفتها زعيمة الزيدية	أواسط القرن ١٥م	صنعاء	استولت بقوة السلاح على صنعاء وتولت السلطة الدينية أيضا
٠٥	**غالية الوهابية**	الأميرة	مباشرة	بداية القرن ١٨	السعودية	قادت حركة مقاومة ضد الاحتلال الأجنبي
٠٦	**تاج العالم صفية الدين**	الملكات الأربع	مباشر	١٦٤١-١٦٧٥م	إمبراطورية الأتجيه Atjeh (أقصى الشمال من جزيرة سوماطرة)	احتكار السلطة إلى بداية القرن الثامن عشر رغم إنكار الهيئات الدينية
٠٧	**نور العالم نقية الدين**			١٦٧٥-١٦٧٨م		
٠٨	**عناية شاه ذكية الدين**			١٦٧٨-١٦٨٨م		
٠٩	**كمالات شاه**			١٦٨٨-١٦٩٩م		
١٠	**الخيزران**	\	حكمت من خلال زوجها وابنيها الهادي وهارون الرشيد	\	\	حصولها من المهدي على تعيين أبنائها في السلطة واستبعاد أبنائه الآخرين رغم كونها أمة بداية

١١	**السلطانة رضية**	اختارت لقبين رضية الدنيا والدين وبلقيس جهان	ورثت عرش والدها وحكمت بطريقة مباشرة	تولت السلطة سنة ٦٣٤هـ – ١٢٣٦م وحكمت أربع سنوات	دلهي	بفضل مواهبها تسلمت من والدها سلطة دلهي رغم وجود إخوة ذكور لها
١٢	**شجرة الدر**	عصمة الدنيا والدين	عن طريق زوجها	تبوأت السلطة عام ٦٤٨هـ- ١٢٥٠م، وحكمت ٨٠يوما من دون تفويض من الخليفة العباسي وتقاسمت السلطة مع زوجها الثاني لمدة سبع سنوات	القاهرة	عملت على أن تكون خطبة الجمعة باسمها وباسم زوجها وعلى سك النقود باسمهما أيضا وألا تخرج أي وثيقة من القصر من دون توقيعهما المشترك
١٣	**كوتلوغ خاتون**	عصمت الدنيا والدين وصفوة الدنيا والدين	عن طريق زوجيها لكنها مارست السلطة منفردة	٦٥٥هـ- ١٢٥٧م \ ٦٨١هـ – ١٢٨٢م	كرمان	خطب في المساجد وسكت النقود باسمها
١٤	**دولت خاتون**	\	بعد موت زوجها اعتلت العرش مباشرة	٧١٦هـ- ١٣١٦م	لورستان (جنوب غربي فارس)	استقالت بمحض إرادتها بسبب عدم تمكنها من الحكم وسلمت العرش إلى أخيها عز الدين
١٥	**ساطي بك Sati Bek**	\	استغلت ثلاثة أزواج متعاقبين لتحتفظ بالسلطة	١٣٣٩		اعتلت العرش كرئيسة دولة رسمية،و كان لها الحق في الخطبة وسكت النقود باسمها
١٦	**تيندو Tindu**	\	استلمت السلطة بعد وفاة زوجها وحكمت بصفة مطلقة	٨١٤هـ – ٨٢٢هـ	بغداد	بقيت في السلطة حتى وفاتها، وألقيت الخطبة باسمها وسكت النقود أيضا
١٧	**فاطمة بيغوم**	لقبها الروس بالسلطانة سيدوفنا Seydovn		١٦٧٩- ١٦٨١م	مملكة الخان قاسم – آسيا الوسطى-	\

		a				
١٩	**السلطانة مريم**		تولت السلطة بعد وفاة أختها السلطانة خديجة	١٣٧٩م-١٣٨٣م		
٢٠	**السلطانة فاطمة**		حكمت بعد وفاة أمها السلطانة مريم	١٣٨٣-١٣٨٨م		
٢١	**أسماء بنت شهاب الصليحية**	السيدة الحرة	أدارت اليمن مع زوجها	ما قبل ٤٨٠هـ-١٠٨٧م	اليمن	كان يخطب باسمها وباسم زوجها على المنابر
٢٢	**أروى بنت أحمد الصليحية**	السيدة الحرة	مارست السلطة منفردة	٤٨٥هـ-١٠٩١م\٥٣٢هـ-١١٣٨م	اليمن	مارست السلطة منفردة تماما إلى غاية وفاتها
٢٣	**الملكة علم**		بداية عن طريق زوجها منصور بن نجاح ثم انفردت بالسلطة بعد وفاته		إمارة زبيد	كانت سياسية بارعة ولم يكن زوجها ليتخذ أي قرار قبل استشارتها لحكمتها ولذكائها

وما لاحظته المرنيسي أن معظم النساء اللاتي تزعمن السلطة لم تكن عربيات، بل مغوليات أو تركيات أو من إيران وإندونيسيا أو الهند... لكن بالبحث في التاريخ نجد أن اليمن مستثنى من ذلك، إذ مارست الكثير من النساء السلطة فيه، وحظيت اثنتان منهن بالاعتراف بهما كرئيستي دولة وهما الملكة أسماء بنت شهاب الصليحية (ت٤٨٠هـ)، التي شاركت زوجها الحكم وخطب لها معه على منابر اليمن. أما الثانية فهي الملكة أروى بنت أحمد الصليحية (ت٥٣٢هـ) وكانت زوجة ابن أسماء المدعو المكرم. وبالنظر إلى البيئة العربية بشكل عام فإن الشائع على من شاركن في الحكم هو لقب ملكة. وهناك لقب آخر يطلق على النساء الحاكمات هو الحرة، وهو غير متعلق بالحرية والعبودية وإنما يرتبط هذا المصطلح بالشرف والأرستقراطية والنخبة والطبقة العليا،

وقد أطلق في مناطق متفرقة من الإمبراطورية الإسلامية كالأندلس، واليمن وشمال إفريقيا. ونجد أيضا لقب الست، والأميرة، والشريفة، أما لقب خاتون فقد كان خاصا بالمنطقة الأسيوية، وقد استعمل من طرق السلاجقة وملوك خوارزم. وما ميز الإمبراطورية المغولية والملوك الأتراك هو الحضور الدائم للنساء في المجال العام.

أما من الناحية الاجتماعية فقد تباينت حالات الحاكمات بين المنتميات إلى عائلات أرستقراطية، وبين جوارٍ استطعن التغلب على حدود الحريم، وبين من تقلدن سدة الحكم بطريقة مباشرة، أو من سيرن الحكم عن طريق شخص آخر.

وبالنظر إلى سير الحاكمات وطرق توليهن للسلطة تقول: « بعضهن تلقين السلطة إرثا، وأخريات أقدمن على قتل الورثة للاستيلاء على السلطة، وكثيرات من تولين القيادة بأنفسهن، وحتى قيادة المعارك، تعرضن للفشل، وأبرمن المهادنات، منهن من منحن ثقتهن وزراء مختصين، ومنهن من لم يفعلن إلا مع أنفسهن، كان لكل واحدة منهن طريقتها الخاصة في سياسة الشعب، وتحقيق العدالة، وإدارة الضرائب. بعضهن بقين على العرش لفترة طويلة، وبعضهن ما كدن يصلن إلى العرش حتى انتهى حكمهن، بعضهن متن على الطريقة التي مات بها الخلفاء أي عن طريق السم والاغتيال، ونادرات منهن من متن على الفراش"[٧]. ومن بين الحاكمات المسلمات اللاتي تكرر ذكرهن في كتاب السلطانات المنسيات السلطانة رضية التي استولت على الحكم سنة ٦٣٤هـ بدلهي، وقد خطب باسمها على منابر الجمعة، وسكت النقود باسمها أيضا، وهو أمر مألوف لدى السلطانات المغوليات. وهو أمر غائب في البيئة العربية إلا إن استثنينا التجربة اليمنية (أسماء وأروى).

ورغم كل النماذج التي استدلت بها المرنيسي إلا أن حكم النساء كان استثناء في التاريخ الإسلامي، ويرجع ذلك إلى أمرين أساسيين:

[٧] المصدر السابق، ص ١٥.

الأول: النصوص الدينية التي قرأت قراءات مانعة

حسب المرنيسي إن أردنا فهم مكانة استعمال النص المقدس في السلطة فعلينا الكشف عن الفترات الأولى لممارسة السلطة والقواعد التي اتخذت من أجل ذلك بعد وفاة النبيﷺ.«ويمكن أن نتصور الأهمية التي كانت توجد لدى كل مجموعة من أصحاب المصالح للبحث عن المشروعية في النص المقدس، وبموجب هذا النص »[٨]. حيث ترتبط الخلافات السياسية بتفسير النصوص الدينية، وتشرعن لنفسها بها، مما يلبس الآراء السياسة لباسا دينيا، وكانت هذه النقطة بالذات سببا في الكثير من الانحرافات في التجربة الإسلامية.

اعتبرت المرنيسي أن النصوص الدينية قد أسيء استخدامها في هذا المجال، والملاحظ أنها لم تركز على القرآن الكريم باعتباره المرجعية العليا والمصدر الأول المؤسس للتشريع الإسلامي. بناء على كون القرآن الكريم قد ساوى بين الجنسين، إضافة إلى أنه معصوم من التحريف والتبديل، أما بالنسبة للحديث النبوي الشريف فقد مسه التزوير رغم اجتهادات المحدثين في ضبط القواعد التي تحميه من التحريف وتسد المداخل أمام من يمارسونه.

وبالنظر إلى التجربة النبوية الفريدة فإن المرأة في عهد النبي ﷺ قد حققت نقلة نوعية في الفاعلية الاجتماعية مقارنة بما كان سائدا في الجاهلية، وانتقلت إلى مرحلة جديدة تشارك من خلالها في كل تفاصيل الحياة العامة. وكان المسجد هو حلقة الوصل بين النبي ﷺ والنساء حيث تتدارسن القرآن وتسألن عن أمور دينهن. وترى المرنيسي أن إبعاد النساء عن المسجد كان السبب الرئيسي في عزلهن عن الحياة العامة «بالإعلان عن اعتبار النساء أجنبيات عن مكان العبادة، فالمرأة التي كان لها الامتياز بالوصول إلى الجامع بصفتها صحابية النبي، سرعان ما أضحت الكائن الشرير الملوث كما كانت في الجاهلية، قبل الإسلام. ومن جديد ستنبعث عادة كره النساء من رفاتها.... وتظهر لنا سيرة النبي استعداده الدائم لأن يكمل مع نسائه العملين الأكثر أهمية في بداية الإسلام: الصلاة والحرب. ولن يكتفوا في تلفيق الأحاديث الكاذبة التي تستبعد النساء من الصلاة، بل

[٨] المصدر نفسه، ص ٥٧.

سوف يجري تفصيل مذكرة وفق مقياس يبدو فيه ظهور النسوية في المسجد متلازما مع الفوضى والاضطراب »[٩]. وإن مثلت بعض الأحاديث النبوية قاعدة تأسيسية لإبعاد المرأة عن سدة الحكم منذ العصور الأولى للإسلام، فإن الاكتفاء بما وصل إليه السابقون في نقد السند أو المتن غير كاف، وقد بات من الضروري تقديم قراءات جديدة حول التراث الإسلامي عموما لتصحيح طريقة التعاطي مع النصوص الدينية المؤسسة لإعادة قراءة الأحكام المستنبطة منها على الأقل، كخطوة أولى لتحرير الوعي العام بما هو كائن وبما ينبغي أن يكون وفق ما تمليه هذه النصوص من قيم خالدة أسيء استخدامها أو تم تأويلها لتخدم مصالح الحكام والسلاطين بعيدا عن مراد النص، إضافة إلى أن تغير نمط السلطة والحكم يجعلنا نقف أمام معطيات جديدة تجبرنا على إعادة بناء نظريات السياسة الشرعية وفق متطلبات الواقع المعاصر .

الثاني: الخلافة والذكورة:

تشير المرنيسي إلى أن ما يمنح شرعية الخليفة ينبني على معيارين اثنين، هما الذكورة وأن يكون عربيا، «في حين جوبه المعيار الأخير بشدة فإن أحدا لم يتنكر أبدا لمعيار الذكورة، فكيف استطاع الإسلام التوفيق بين هاتين النقطتين: مبدأ المساواة بين الجميع من جهة، والمعايير الضيقة لمشروعية الخلافة من جهة أخرى؟ ذلك هو أحد ألغاز التاريخ السياسي الذي ينبغي على المحدثين حل غموضه. إن الهدف من هذا السفر في الماضي للبحث عن سلطانات وألقابهن هو خطوة متواضعة في هذا الاتجاه»[١٠]، « لكن هل حقا ثمة تعارض أساسي بين الخلافة كنموذج مثالي للسلطة وبين المرأة الحاكمة؟ »[١١]،على اعتبار الأهمية التي تنطوي عليها قضية الخلافة بالذات. لذلك« لم تتوصل مطلقا أي امرأة لحمل لقب خليفة أو إمام بالمعنى المألوف للكلمة»[١٢]، لكون هذا اللقب متعلقا بحمولة دينية كبيرة. وبما أن «المرأة كانت تستبعد من الإمامة الصغرى المتمثلة في العمل

[٩] فاطمة المرنيسي، المصدر السابق، ص ١٤٠.

[١٠] المصدر نفسه، ص ٤٦.

[١١] المصدر نفسه ، ص ٤٨.

[١٢] المصدر نفسه، ص ٢١.

البسيط (إدارة الصلاة)... فإنه يصبح مفهوما أن الأمر لا يحتاج إلى نقاش في الإمامة الكبرى»[١٣]. إن لقب الخليفة كان خاضعا لمعايير محددة، ولم يكن الحصول عليه متاحا لكل حاكم أو سلطان، لكونه جامعا لنمطين من السلطة؛ الدينية والدنيوية. فوظيفة الخليفة هي إمامة الدين وسياسة الدنيا، كما أنه يحمل قوة معنوية نابعة من مكانته الروحية.

وإن كانت «معايير السيادة التي لا اعتراض عليها في الإسلام هي معياران؛ ذكر رئيس الدولة في خطبة الجمعة، ونقشه على العملة»[١٤]. فإن« النساء النادرات اللواتي قد توصلن إلى أن ينطق بأسمائهن من أعلى منابر الجوامع يشكلن حالة استثنائية في تاريخ الإسلام السياسي في المقياس الذي نجحن فيه في وضع الموافقة الرسمية على انتهاكهن للمحرمات. و إذا أدركنا العلاقة المتنازع فيها بين النسوي والديني، والغموض المخيم على مشروعية وجود النساء في المساجد، الغموض الذي يبدو مختلفا حسب الأمكنة، وحسب الثقافات والعصور التاريخية سوف يتبين لنا بصورة أفضل الوزن الرسمي والسياسي العجيب لهؤلاء النساء النادرات اللواتي توصلن إلى ذكر أسمائهن في الخطب أيام الجمعة » [١٥]. وهذا يعبر عن التماهي بين الديني والدنيوي انطلاقا من كون «تمني الحياة المديدة لهذا الحاكم والدعاء له أثناء موعظة الجمعة هو تدعيم للفكرة الأثيرة في الإسلام بالتناسق الشامل بين السماء والأرض، بين الروحي والمادي، بين الحاكمين والمحكومين. إن خطبة الجمعة الشعيرة الدينية المركزية للنظام، تعبر عن جوهر هذا النظام نفسه، أي أن الدين سياسة والسياسة دين»[١٦].

وأوردت المرنيسي الأحاديث المتعلقة بالمرأة وكيف أبعدت تدريجيا عن المسجد، مستفيضة في الشرح والنقد والمقارنة، فإبعاد المرأة عن المسجد جعل إقصاءها عن بقية الأمور الدنيوية أسهل،

[١٣] المصدر نفسه، ص ٦١.

[١٤] فاطمة المرنيسي، المصدر السابق، ص ١٢١.

[١٥] المصدر نفسه، ص ١٢٤.

[١٦] . المصدر نفسه، ص ١٢٦.

وقد حللت الموضوع من حيث تراتبية الأحداث تاريخيا، والتي كانت مرتبطة بالحديث تأسيسا للأحكام الشرعية المتعلقة به.

وأكدت المرنيسي على التفريق بين ما تصطلح عليه "إسلاما" كممارسة للسلطة، وبين إسلام الرسالة المدونة في القرآن الكريم[١٧]. وعلى الرغم من النقد اللاذع الذي وجهته إلى شخصيات أو محطات تاريخية فإنها ركزت أيضا ـ وبشدة ـ على الجوانب المضيئة في التاريخ الإسلامي ولم تهملها بتاتا، وفرقت بين مكانة المرأة في الممارسة النبوية كزوجة وكابنة وكمساهمة في الحياة الاجتماعية، وبينها في ممارسات المسلمين بعد ذلك، والتي كانت في كثير من الأحايين مخالفة بوضوح سواء للنص المقدس، أو لسيرة النبيﷺ وتوجيهاته.

ومن خلال استقراء التاريخ تصل المرنيسي إلى مجموعة من الملاحظات حول السلطانات وطريقة حكمهن ونلخصها كما يأتي :

- النساء اللاتي حكمن يشكلن حالة استثنائية في تاريخ الإسلام السياسي.
- الجواري لم يكتفين بإغراء الخليفة، بل تطلعن إلى السلطة السياسية.
- ارتقاء النساء في الإمبراطورية المنغولية كان واضحا، ولم يحمل ردود فعل سلبية، لكن ذلك متعلق بنساء الطبقات الأرستقراطية.
- المرأة في التصور الشيعي تحتل مكانة أرفع – على مستوى المشاركة السياسية – عن غيره من المذاهب الإسلامية، لكون فاطمة بنت النبي الأكرم ﷺ شخصية محورية في المذهب، ما جعل فاعلية المرأة أكبر، وتقبل ذلك في مجتمعها أوسع. ولبيان وجهة نظرها فقد استفاضت في شرح هذه النقطة، وتتبعت النشأة التاريخية للمذهب الشيعي وتطوراته وعلاقته بالسلطة الحاكمة، وعلاقة المرأة بكل ذلك.

[١٧] . فاطمة المرنيسي، المصدر نفسه، ص ١٨.

– كل من استطعن الوصول إلى السلطة كن استثنائيات، وامتزن بالذكاء والقدرة على الإحاطة بالبيئة التي وجدن فيها وانتمين إليها، وكن أيضا ضليعات في علوم عصرهن، لذلك نجحن في الوصول إلى السلطة، واستطعن التأثير في اتخاذ القرارات.

– رفض ممارسة السلطة من طرف النساء ألبس لباسا دينيا، والتيارات السلفية هي التي كرسته بشكل أكبر.

– إيراد هذه النماذج لا يعني أن فترات حكمهن كانت مثالية تماما، لأنهن مارسن السياسة وانخرطن في المكائد أيضا، ما يجنبنا النظر إليهن بمثالية تبعدنا عن الموضوعية من جهة وعن الحقائق التاريخية من جهة أخرى، لذلك ينبغي قراءة سيرهن« مع نظرية نقدية حيوية دون مدح أو تبجح، وبأقل تباك على أحلام العظمة»[١٨].

الخاتمة

استطاعت المرنيسي من خلال كتابها "السلطانات المنسيات" تسليط الضوء على مختلف التجارب السياسية التي خاضتها المرأة المسلمة، مبرزة مزايا هذه التجارب التي كانت استثناء في التاريخ الإسلامي، وإن كان القصد من ذلك هو إبراز أحد الجوانب المخفية من تاريخ النساء الحاكمات، إلا أنه بمثابة قراءة في الأسباب التي أبعدت النساء أيضا عن السلطة، وقد ربطت المرنيسي المشهد المعاصر بجذوره الممتدة في التراث الإسلامي كأحد الروافد المهمة في معالجة مكامن الخلل في التصورات الفكرية والاجتماعية التي تستمد حضورها من الرؤية الدينية، من دون أن تهمل الجوانب المشرقة في التاريخ الإسلامي باعتبارها لبنة أساسية في الاستفادة من التجارب السابقة لبناء وعي جمعي سليم بإشكاليات الواقع ومتطلباته.

[١٨] المصدر السابق، ص ١٤٦.

قائمة المصادر والمراجع:

- فاطمة المرنيسي، السلطانات المنسيات، ترجمة الهادي عباس وجميل معلى، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، دط، د ت.
- فاطمة المرنيسي، أحلام النساء الحريم، ترجمة ميساء سري، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١٩٩٧،١
- فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء آزرويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٤، ٢٠٠٥
- عبد الرحمن علال، البنية الذهنية للحريم في حفريات فاطمة المرنيسي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث
- وضاح زيتون، المعجم السياسي، دار أسامة، دار المشرق الثقافي، عمان، دط، ٢٠١٠م
- Naim , Hank. (2022). The General Pricing Mechanisms at the Islamic Market. International Journal of Specialized Islamic Studies, 1 (2), 207-225, https://doi.org/DOI:10.31559/sis2018.1.2.5
- Hank, Naim . "Modern Arap Edebiyatına Iz Bırakanlardan Biri Olarak Şevkî Dayf ve Osmanlı Yönetimine Bakışı". darulfunun ilahiyat 30 / 2 (December 2019): 499-528 .
- Hank, Naim . "خصائص في منتجات التمويل بالمشاركات تجعلها حلا ناجعا للأزمات الاقتصادية العالمية . İslam Medeniyeti Dergisi 8 / 49 (June 2022): 55-67 ". https://doi.org/10.55918/islammedeniyetidergisi.1123907
- Hank, Naim . "ضوابط تصرفات الحاكم المسلم الاقتصادية في ظل السياسة الشرعية BALAGH - Journal of Islamic and Humanities Studies 1 / 2 (October 2021): 257-277 .

- Hank, Naim. ''FINANCIAL CRISES AND RISK MANAGEMENT IN THE QUR'ĀN: SŪRAH YŪSUF AS A CASE STUDY''. Journal of Integrated Sciences. Volume 2, Issue 2, April 2022, 26-40.
- Hank, Naim , Hocini, Mohamed Amine . " دور الوقف في استمرارية تمويل المدارس القرآنية في الجزائر أثناء جائحة كورونا(Haziran 2022) 1 / 2 MUTALAA ". 61-75 :
- حنك نعيم. ٢٠٢٠. "مكمن الخلل في الآليات الرقابية للبنك المركزي على البنوك الإسلامية وبدائل مقترحة. *Majmaa Journal*, no. 31 (January). http://ojs.mediu.edu.my/index.php/majmaa/article/view/1564.
- Hank, Naim. "Shawqi Daif's view of the Ottoman Empire's rule as a significant influence on contemporary Arabic literature". darulfunun ilahiyat 30/2 (Sep. 2022): 499 528. https://doi.org/10.26650/di.2019.30.2.0031